المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية



سلطان الدولة المغلية الإسلامية فى الهند

رسالة مقدمة من

نصير أحمد نور أحمد

للحصول على درجة الماجستير فى التاريخ الإسلامى الحديث

إشراف

الأستاذ الدكتور: محمد عبد اللطيف البحراوى

١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م

كيفيـــة نطق بعض الحروف الفارسية الواردة فى البحــــث :

پ :	تلفظ كحرف P ، كما فى كلمـــــة	People
چ :	تلفظ كحرفى CH، كما فى كلمـــــة	Chair
گ :	تلفظ كحرف G ، كما فى كلمـــــة	God

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

كانت رغبتى العامة هى أن أختار موضوعا فى تاريخ المشرق الاسلامى ، اعتقادا منى بأن ذلك التاريخ لم ينل حقه فى الدراسات الجامعية العربية المتخصصة ، وتأكدت لدى هذه الرغبة ،بتشجيع من أساتذتى الأفاضل وعلى الأخص أستاذى المشرف ، الذى نظر الى إجادتى اللغة الفارسية ، ورأى ، على حد قوله ، أن يغتنم هذه الفرصة فى الاستفادة من المصادر الفارسية الأصلية ، التى حال الحاجز اللغوى من الرجوع إليها فى الدراسات التاريخية العربية المتخصصة ، ومن ثم رأيت أن يكون الموضوع من موضوعات تاريخ المشرق الاسلامى الحديث ، وذلك نظرا لأهمية ذلك التاريخ فى تكوين العالم الاسلامى المعاصر ، كما لمست ذلك فى دراستى بالسنة المنهجية .

ولما كانت اللغة الفارسية هى لغة الثقافة بصفة عامة فى المشرق الاسلامى فى مطلع العصر الحديث ، فقد جاءت أمهات المصادر بهذه اللغة ، وقد اتفقت مع أستاذى المشرف فى أنه من الأهمية القصوى أن نعود إلى المصادر الفارسية كمصدر أساسى ، لأن كل الذين كتبوا فى تاريخ المشرق الاسلامى بلغتنا العربية قد رجعوا الى ما كتبه الأوربيون ، وأنه قد آن الأوان لأن نقفز من فوق هذا لنصل إلى المعين الأساسى ، ولا نظل أسيرين لكتابات الأوربيين وأفكارهم ، وسمعت من أستاذى المشرف يؤكد أكثر من مرة أن

تاريخ الدولة العثمانية يقتضى حتما معرفة اللغة التركية وتخطى الحاجز الأوربى والأخذ من المعين الأصلى ، وكذلك الحال بالنسبة للطرف الشرقى من المشرق الإسلامى ، فقد آن الأوان لهذا القفز والوصول إلى المصادر الأصلية الفارسية وهذه هى الطريقة المثلى والحتمية لتصفية مخلفات الاستعمار الأوربى الثقافية والفكرية فى عالمنا الاسلامى .

ومن ثم عملت فى موضوعى هذا وأنا أشعر شعورا عميقا بأننى أؤدى واجبا إسلاميا ..

كان من الممكن أن أختار موضوعا فى الدولة الصفوية ، ولكننى وجدت أن هذه الدولة قد تطرقت إليها البحوث التاريخية العربية ولو بشكل ضمنى ويسير ، لأن هذه الدولة كانت فى نزاع مستمر مع الدولة العثمانية ، فكل من كتب أو بحث فى الدولة العثمانية ، تطرق بشكل أو بآخر إلى الكلام عن الدولة الصفوية أيضا ، فقررت أن يكون موضوعى من موضوعات التاريخ الإسلامى الهندى الحديث ، آملا أن أضيف جديدا إلى المكتبة التاريخية العربية ، حيث رأيتها بحاجة ماسة إلى مثل هذه البحوث ، لأن الحاجز اللغوى كما قلنا حال دون الدراسات التخصصية فى هذا المجال وبالتالى لم يتيسر لمؤلفيها مراجعة المصادر الأصلية .

ومما لا شك فيه أن تاريخ الهند الحديث جدير بالدراسة العربية المتأنية الفاحصة الشاملة ، ولا ترجع هذه إلى أهمية شبه القارة الهندية

لذاتها فحسب ، بل ولأن تاريخ الهند الحديث ، كان ذا تأثير كبير في مصير البلاد المجاورة ، والبلدان التي كانت تقع على طرق أوربا البحرية إلى الهند .

ويعتبر تاريخ الدولة المغلية الإسلامية في الهند ، هو تاريخ الهند في مطلع العصور الحديثة ، تلك الدولة التي حكمت شبه القارة الهندية لعشرات من السنين ، بعد أن وحدت معظمها في نظام مركزي قوي ، مع استمرار محاولاتها لتوحيد جميع أجزاء شبه القارة ، ولقد وضعت أسس هذه الدولة واتضحت معالمها في عصر جلال الدين محمد أكبر شاه ، وصحيح أن بابر شاه جد السلطان أكبر كان هو الفاتح والمؤسس ، ولكن دولته لم تدم طويلا ، وجاء حفيده ليؤسس من جديد ثم يوسع ويوحد ، ومن ثم ترك لخلفائه دولة موحدة مركزية قوية مترامية الأطراف ، هي التي شكلت تاريخ الهند الحديث ، وأخرت سقوط الهند في براثن الاستعمار الأوربي إلى عشرات من السنين ، ومن هنا كان اختيار عصر السلطان أكبر موضوعا للبحث ، على أمل أن يعتبر هذا البحث خطوة في سبيل الدراسات التاريخية الجامعية العربية المتخصصة ، لهذه المرحلة الهامة من مراحل تاريخنا الإسلامي في الهند .

هكذا كانت قصتي مع اختيار الموضوع ، ولكنني كنت أحس أثناء الاختيار وبعد الاختيار ، بأنني سوف ألقى من الصعاب الشئ الكثير ، ومع هذا ، كان الارتياد للمجال الجديد وتشجيع أستاذي المشرف المستمر يدفعني إلى تخطي العقبات وبذل الجهود لتذليلها ، وأول ما واجهته في هذا المجال هو كيفية

توفير المصادر اللازمة للبحث ، لأن المراجع العربية والمعربة المتعلقة بالموضوع والمتوفرة فى الأسواق والمكتبات ،لا تلبى إلا جزءا ضئيلا مما يتطلبه الموضوع ،إلا أن الجامعة ،سهلت لى مشكورة القيام برحلة علمية إلى باكستان ، للبحث عن المصادر والمراجع التى تحتاجها الرسالة ، وهناك تجولت فى المدن الباكستانية ، ولم أنس قول أستاذى المشرف أن مهمتى الأساسية هى أن يجعل أجعل هوايتى الأولى البحث عن الوثائق والمصادر ، وهالنى وأنا أتجول أن اللغة الفارسية فقدت أهميتها التى كانت تتمتع بها كلغة الثقافة والدبلوماسية ، وحلت محلها فى هذه الناحية اللغتان الإنجليزية والأردية ، وبالتالى لم أعثر من الأسواق والمكتبات التجارية على أى مصدر فارسى مطبوع ، إلى أن وصلت إلى مدينة لاهور ، حيث المدينة العلمية لباكستان ، وهناك تمكنت بجهد شخصى ، أن أتعرف إلى أستاذ جامعى متقاعد ، قيل لى إنه كان قد ادخر كتبا تاريخية كثيرة بين مخطوطة ومطبوعة ، وربما يكون مستعدا لبيع مجموعة منها ، فذهبت إلى بيت ذلك الرجل ، وفعلا وجدت عنده مجموعة قيمة من المصادر الفارسية المطبوعة القديمة ، والتى أصبحت فى حكم المخطوطات نظرا لعدم وجودها فى الأسواق ،واشتريت هذه المجموعة من ذلك الأستاذ الجامعى المتقاعد لتستريح نفسى قليلا ، بعد أن كانت قلقة بدافع الخوف من الفشل ، ثم كان دور مكتبات الجامعات والمكتبات العامة ، وتيسر لى بحمد الله الحصول على مجموعة طيبة من المصادر المخطوطة والمطبوعة فى مكتبة جامعة بنجاب ومكتبة بنجاب العامة ، حيث قمت بتصويرها تصوير ميكروفلم ،وهناك تلقيت كل ترحيب ومساعدة من القائمين على المكتبتين ، وعلى الأخص

القائمين على مكتبة جامعة بنجاب ، حيث تزودت منها بأكبر كمية من مصادر مخطوطة ومطبوعة قديمة ، وقمت بتصوير حوالى ثلاثة آلاف صفحة من هذه المصادر كما تمكنت من الحصول على معجم لغوى فارسى ألف فى الهند ، وقد أفادنى كثيرا فى حل بعض الكلمات والمصطلحات المستخدمة فى مصادر البحث، وبذلك عدت إلى مكة المكرمة منشرح البال ، بعد أن وفقنى الله للحصول على المواد اللازمة لإتمام البحث .

عند البدء فى استخراج المادة العلمية من هذه المصادر المخطوطة والمطبوعة ، وجدت من الصعوبات ما لم أكن أتصورها ، اذ رأيت أن لغة كثير من هذه المصادر قد مضت عليها حوالى أربعة قرون من الزمان ، وبحكم التطور اللغوى ، أصبحت غير مألوفة إلى حد ما ، بمقارنتها مع اللغة الفارسية الحديثة ، والأهم من ذلك أن هذه اللغة تداخلت مع بعض اللغات الأخرى ، من سنسكريتية (١) ومغلية ، مما جعلنى أقف كثيرا عند بعض المصطلحات والكلمات حتى أطمئن وأقتنع من المعنى الذى يعنيه ذلك المصطلح أو تلك الكلمة ، وفى معظم الأحيان كنت أجد حلا لمثل هذه الصعوبات باستخدام المعجم ومتابعة المصادر ومقارنة بعضها بالبعض ، ومع هذا حدث أننى لم أجد تفسيرا لبعض المصطلحات ، فهناك على سبيل المثال مصطلح " ديگ " فهذه الكلمة تعنى بالفارسية القدر وجمعها " ديگها " أى القدور ، ولقد تكررت هذه الكلمة فى أكثر من مصدر ، ولكننى لم أكن أقتنع بمعناها المعروف ، لأنه لا يوافق القرائن والسياق ، ولم يقدم لى المعجم حلا ، كما رأيت أن المصادر

(١) السنسكريتية : هى لغة الهند القديمة التى كتب بها تاريخ الهند القديمة وأساطيرها.

المتقدمة والمتأخرة، تذكرها دون أن تقدم لها شرحا ، مما يشير الى أنها كانت معروفة لدى الجميع ، بحيث لم تكن بحاجة إلى التعريف ، إلى أن وجدت لها حلا فى مرجع فارسى حديث ، حيث ذكر أن هذا المصطلح كان يطلق على نوع من المدافع الثقيلة (١) ، وهكذا كانت بعض المصطلحات والكلمات تشغلنى أياما وأسابيع ، وكأننى قمت ببحث كل معلومة وتحقيقها وترجمتها ، ولا ننسى أن حجم بعض المصادر كان أكثر من ألف صفحة من المقياس الكبير القديم ، صحيح أننى لم آخذ جميع ما كتب ، ولكنه كان يلزمنى قراءة كل هذه الصفحات حتى أستخرج ما هو المناسب واللازم .

وأما فيما يتعلق بمنهجى فى البحث ، فلقد تأثرت واقتنعت بمنهج أستاذى المشرف ، وفحواه أن التاريخ هو العلم الشامل ، وأنه لا فاصل بين الحضارة والتاريخ ، بل ان النظم والحضارة جزء لا يتجزأ من التاريخ ، ومن ثم جاء متن الرسالة محققا لهذا المنهج ، ونحن حين قلنا : عصر أكبر فاننا نقصد تاريخ هذا العصر بكل ما فيه من حضارة ونظم واقتصاد واجتماع وسياسة وحرب ، بل وأدب وقانون أى تاريخ عصر السلطان أكبر.

والرسالة هذه عبارة عن مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، وفى المقدمة التى تلى هذا التمهيد ، قدمت نبذة موجزة عن جغرافية شبه القارة الهندية ، لأن الجغرافيا هى مسرح التاريخ ولها دورها فى تكوين الحضارات ، وفى رقعة شاسعة كالهند وفى ظل بدائية المواصلات ، لا يكتمل فهم طبيعة الأحداث

---

(١) عبد الحى حبيبى : ظهير الدين محمد بابر شاه ، ص ١٤١ .

التاريخية دون أن تكون عندنا فكرة عن جغرافية الهند الطبيعية والبشرية . وفى هذه الناحية أيضا ، بدا منهج أستاذى المشرف من حيث اهتمامه بالجغرافية كأساس لابد منه لموضوعات التاريخ الحديث بالذات ، حيث اتسع العالم وارتبط أكثر من أى عصر آخر سابق ، وما زلت أذكر كلماته وهو يقول : رب نظرة لخريطة تغنى عن قراءة كتاب ، وإذا كنا قد توصلنا فى هذا البحث إلى نتائج جديدة وقيمة للغاية ، فان إحدى هذه النتائج هى أن جغرافية الهند هى التى شكلت نظرية الحكم فى الدولة المغلية الإسلامية فى الهند الحديثة .

وفى الفصل الأول تكلمت عن الحالة غداة بدء عصر السلطان أكبر وهى عبارة عن فترة التمكين للدولة ، حيث تمكن السلطان من القضاء على المخاطر الكثيرة التى هددت بقاء الدولة المغلية الإسلامية فى الهند ، واستطاع السلطان فى خلال هذه الفترة أن يثبت وجوده وجدارته فى الحكم ، بعد أن وطد أركان دولته التى لم تكن فى البداية أكثر من تعبير جغرافى ، ووصلنا فى هذا الفصل إلى أن السلطان اطمأن على الأوضاع داخل دولته وأصبح هو المسيطر والموجه لمجرياتها ،ليبدأ بعد ذلك فى التوسع والفتح ، وهذا ما تكلمنا عنه فى الفصل الثانى ، ولقد وجدنا أن التفاصيل التى عرضناها فى هذا الفصل بالذات ، من الأهمية بمكان ،لنستكشف من خلالها مدى ذلك الجهد الجبار الذى استدعاه حكم الهند فى مطلع العصور الحديثة ، مما كان له تأثيره الضاغط فى مجالات عدة ، بل وفى تكييف النظرية المغلية لحكم الهند ، وكانت نتيجة هذه الجهود تكوين دولة مغلية إسلامية

موحدة قويـة ، تشمل معظم شبه القارة الهندية ، وبطبيعة الحال ، لم تكن كل هذه المدة عبارة عن الحرب وخوض المعارك ،بل كانت هناك إنجازات أخرى فى سائر مجالات الحياة ، لا تقل أهمية عن انتصارات السلطان العسكرية ، وهذا ما بحثناه فى الفصل الثالث تحت عنوان :الأحوال الداخلية ، وفى الفصل الرابع تكلمنا عن علاقات السلطان الخارجية وموقفه من الوجود البرتغالى على الساحل الهندى ، وبما أن العلاقات الخارجية تتأثر بالأوضاع الداخلية ، اتضح لنا مما عرضناه فى هذا الفصل ، أن السلطان كان حريصا على تحسين علاقاته بجيرانه ، وأنه اقتصر فى هذا المجال على جيرانه الأقربين ، بمعنى أنه لم يدرك أهمية الاتصال بالدولة العثمانية وتوثيق علاقاته بها ، والذى لو كان قد تم لربما تغير وجه التاريخ الحديث ومساره .

وفى الخاتمة ، جاء التحليل والنتائج ، ولقد تعلمت من أستاذى المشرف كذلك أن الخاتمة يجب أن تكون صلب الرسالة وأهم جزء فيها ، لأنها هى النتيجة المباشرة لفكر الباحث وقدرته على التحليل والنقد والاستنتاج وآمل أن تكون خاتمة رسالتى كذلك ، وأن أكون قد وفقت إلى إضافة جديدة للعلم .

وأرى أن من واجبى هنا أن أنوه بكل الذين ساعدونى فى اجتياز هذه المراحل ، فأشكر المسئولين فى هذه الجامعة الفتية ، والذين لم يدخروا وسعا فى سبيل توفير كل ما كان يلزم لاعداد هذا البحث ، وأخص بالشكر

القائمين على كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، والمسئولين فى مكتبات الجامعة ، كما أقدم شكرى وامتنانى لجميع أساتذتى الأفاضل الذين تتلمذت عليهم فى قسم التاريخ والحضارة الاسلامية ، وعلى الأخص أستاذى المشرف الأستاذ الدكتور محمد عبداللطيف البحراوى ، أطال الله فى عمره ، الذى كان خير مشرف لى بخبرته الواسعة المتمرسة فى مجال البحث التاريخى ، وبتوجيهاته السديدة وحنانه الأبوى الذى لا ينسى ، وإلى الأساتذة أعضاء لجنة الفحص والمناقشة الموقرين ، والله أسأل أن يوفقنا لخدمة الإسلام وإحياء تراثه المجيد .

فاذا انتقلنا الى القسم الثانى من المقدمة وهو ما نعتنى فيه بتقديم نبذة موجزة من جغرافية الهند ، فانه من الأهمية أن نشير إلى أن الهند استمدت اسمها من سند هو وهو الاسم الهندى لنهر إندوس أو نهر سند المعروف ، ومنها اشتقت كلمتا إند و هند ومعناهما الأرض التى تقع فيما وراء نهر إندوس ، وأصبح سكان هذا الإقليم يسمون الهندوس أو الهنود ، كما أصبحت بلادهم تعرف بـ هندوستان [1] ،

وتؤلف الهند من الناحية الطبيعية ، عالما مستقلا ، بحيث جعلتها فى عزلة لما أحاطتها بها من جبال هائلة وشاهقة ومن بحار محيطة ومتلاطمة. [2]

ويمتد شبه جزيرة الهند من خط ٣٧° شمالا حتى ٨° شمالا ومن خط طول ٧٠° شرقا حتى ٩٦° شرقا . وتقع فى شمالها مرتفعات هماليا ذلك الحاجز العظيم الذى حمى الهند من غارات الرعاة الموجودة فى مناطق الإستبس شمالا ، فاستغنت بها الهند عن بناء سور كما فعلت الصين فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، حماية لها من غارات القبائل التى تدفعها ظروفها القاسية إلى الهجوم على الجهات المعمورة والزراعية .

---

(١) عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ، ص ٢ .

(٢) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢١ .

وعلى الرغم من هذا ،فان الهند قد شهدت منذ القدم غزوات وغارات أتتها من ممراتها فى الشمال الغربى ، وأهمها ممر خيبر، مصاحبة معها العقائد والتقاليد واللغات والثقافات الموجودة فى الشمال ، ومن أهم المؤثرات التى دخلت الهند هى الديانة الإسلامية .

كذلك تمتاز الهند بسواحلها الطويلة ولكنها قليلة التعاريج فلم تر الموانئ الكبيرة التى تتناسب مع سواحل الهند الطويلة ، فالساحل الغربى صخرى ، وأما الشرقى فأقل صخرية ولكن البحر ضحل على طول الساحل ، فلا يساعد السفن على الاقتراب من الشاطئ (١)

إن شبه الجزيرة الهندية ليست بالبلد الواحد أو القطر الصغير، فليس من السهل الإحاطة بها من كل الجوانب ، وهى بلاد شاسعة وواسعة ومترامية الأطراف وبعيدة الأكناف يصح أن نطلق عليها اسم قارة قائمة بذاتها ، وأن نفرق بين مناطقها ، ونجعل من كل منطقة قطرا يختلف كل الاختلاف عن جاره من كل وجه ؛ فهى - وان جمعتها الوحدة الاسمية - بلاد كثيرة مختلفة باختلاف أقطارها ، واختلاف أصول سكانها قديما وحديثا ، ومختلفة أيضا باختلاف عقائد أهلها ودياناتهم ولغاتهم .

---

(١) دولت صادق : جغرافية العالم ،ج ١ ، ص ٩٤ - ٩٥ .

ولم تكن هذه البلاد بلدا واحدا بكل معنى الكلمة ، ولا كانت تحت سيطرة حكومة مركزية واحدة ، بل كانت بلادا متفرقة يحكمها أمراء مختلفون ، ما عدا فترات من أيام الحكم الاسلامى المغلى وما عدا زمن الإمبراطورية البريطانية الاستعمارية فيما بعد (١) .

ويتألف أكبر حد للهند من جبال هماليا التى هى أعلى سلسلة فى الكرة الأرضية ، ويزيد ارتفاع طرفها الأعلى عن ستة آلاف متر ، ويبلغ معدل علوه المتوسط أربعة آلاف متر ، وتوجد بينها من الشواهق ما يصل ارتفاعه الى ثمانية آلاف متر أو تسعة آلاف متر .

وتشغل جبال هماليا أرضا تزيد عن مساحة فرنسا ، وهى أمنع مانع أقامته الطبيعة بين بلدين أو أمتين .

وفى الشمال الغربى من النطاق المخيف الذى ضربته الطبيعة حول بلاد الهند ، ثغرة نهر كابل ، ومن ضفاف هذا النهر أخذ المغل والأفغان وغيرهم طريقهم الى شبه جزيرة الهند . (٢)

ويلى المرتفعات الشمالية ، إقليم السهول من الجنوب ، وقد تكونت من الرواسب الغيضية التى حملتها أنهار السند و كنگ وبراهما پترا ،

---

(١) احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص٧-٩ .

(٢) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٥ - ٢٨ .

والأفرع العديدة المتصلة بهذه الأنهار ، وتمتاز الأنهار التى تقطع هذه السهول بأنها لا تجف إطلاقا بخلاف أنهار دكن التى تجف فى بعض شهور السنة ، كما تعتبر منطقة السهول من أخصب بقاع الهند وأكثرها سكانا .(١)

وفى الثلث الجنوبى من الهند يقع إقليم دكن ، حيث تزداد حرارة الشمس والجفاف ، إلا إذا لطفتها نسائم تهب عليها من البحر ، ولكن الحرارة هى العنصر الرئيسى السائد من دهلى إلى سيلان .(٢)

وكان اسم دكن يطلق على قسم الهند الجنوبى المقابل للقسم الشمالى المعروف بهندستان .(٣)

ومما جاء فى تاريخ بابرى أن الهند بلاد العجائب برسومها وعاداتها وبلدانها وصحاريها ، وتنبع من جبالها فى الشمال أنهارها الكبيرة التى تسير إلى كثير من بلادها وقراها ، وتسير سبعة من أنهارها إلى الغرب حيث يجتمع فى نواحى ملتان وتنضم إلى نهر السند الذى يصب مياهه فى بحر عمان(٤) قرب ديبل ، ومن هذه الأنهار ستلج و بياه و راوى ،

---

(١) دولت صادق : جغرافية العالم ، ص ٩٧ .
(٢) ول ديورانت : الهند وجيرانها ،ص ١٣ - ١٤ .
(٣) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٧٣ .
(٤) أى بحر العرب .

و چناب و بهت ، ويقال لنهر سند نيلاب أيضا (١) .

وهناك أنهار أخرى كثيرة ، تنبع من الجبال وتسير إلى الشرق ، من أمثال نهر گنگ الكبير و رهبت و كوى وغير ذلك ، وتلحق هذه الأنهار بنهر كنك الكبير بعد ولاية بنگاله ثم تصب فى البحر .

وهناك أنهار أخرى تنبع من سائر الجبال كأنهار جيل و نياس و سون و سوى وتنضم هذه الأنهار أيضا الى نهر گنگ ، وتوجد فى دكن أيضا أنهار كثيرة من أمثال گنگ و نربده و تبتى ويورنه وگنگ الصغير و كشتة و هيوره و تمندره ، وتسير الثلاثة الأوائل إلى جهة الغرب ، والبقية تجرى إلى الشرق .

وبواسطة وجود الأراضى السهلة يمكن أن تمتد الجداول من أنهارها بقصد الزراعة وإحداث الحدائق ، ولكن لم يعرف عن سكانها هذا الأمر ، فلم يكونوا يملكون ذوقا لمشاهدة المياه وهبوب النسيم . (٢)

وتضم وديان نهرى گنگ و سند أغلب أراضى الهند الزراعية وأخصبها ، والتى تعد كذلك أكثر مناطق الهند ازدحاما بالسكان ، ويفصل بين وديان هذين النهرين صحراء الثار (تر) أعظم صحراوات الهند ، وتعرف فى

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٨ .
عبد الحى الحسنى : الهند فى العهد الاسلامى ، ص ١١ .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

التاريخ كذلك باسم صحراء الراجپوتانا .(١)

وبرغم ما بالهند من أنهار كثيرة ، فإن مياهها لا تكفى سعة أراضيها ولذلك كان اعتماد كثير من الأراضى الزراعية على الأمطار الموسمية التى كثيرا ما يؤدى امتناعها إلى مجاعات مروعة .(٢)

ويبدأ موسم الأمطار فى هندوستان من أواخر الجوزا وينتهى فى أوائل الميزان (من يونيو إلى أكتوبر) ، وفى خلال هذه الفترة يكون الجو فى غاية الجودة ويكون ربيعها أحسن ربيع(٣) ، وهناك بعض المناطق تسقط عليها الأمطار فى الشتاء أيضا ، كما يوجد بعض المناطق مثل صحراء ثار وأجزاء تقع فى ظل المطر ، لا تنزل عليها الأمطار ، وعلى العموم فهى مساحات محدودة للغاية ، والسبب فى ذلك هو مرتفعات هماليا فى الشمال ، حيث عملت حاجزا يمنع تسرب الرياح الموسمية إلى مناطق بعيدة ، فتركزت معظم أمطارها على شبه الجزيرة .(٤)

وكثيرا ما تسبب الأمطار الموسمية سيولا وفيضانات ، تقضى على الحرث والنسل وتخلف وراءها خرائب وبؤساء وأمراضا متعددة ، وأغزر مناطق

---

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدولة الاسلامية بآسيا وحضارتها ، ص ٨ - ٩ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٩ .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ١٠ .
عبد الحى الحسنى : الهند فى العهد الاسلامى ، ص ١٤ .

(٤) دولت صادق : جغرافية العالم ، ص ٩٨ .

الهند بالمطر هي المناطق الشرقية مثل بنگاله وآسام. (١)

ويوجد في الهند كل الأجواء بسبب اتساعها وتفاوت ارتفاع بقاعها الكثيرة ، فبينما يكون الحر شديدا في سواحل مليبار و گور ومندل وسهول البنجاب ، ترى ربيعا ساحرا في رداف الجبال وريحا صرصرا تلطم صرور الشمال العالية ، وأغطية من الثلوج مشابهة لما في القطبين ، تستر شواهق هماليا. (٢)

ونظرا لمجاورة الهند للمحيط وكثرة الأمطار فيها ، تسود مناخها الرطوبة . ومن خصائص الهند فصولها الثلاثة وهي فصل الصيف وموسم الأمطار وفصل الشتاء ، ولكل فصل أربعة أشهر. (٣)

ومن ناحية الجغرافية البشرية ، فالهند بلاد الأسرار والأساطير ، ومجتمع الشعوب والطبقات ، بل مجتمع المجتمعات ، تكثر فيها الأديان وتتعدد اللغات والألوان (٤) ، وهي كتلة بالغة الضخامة من اليابس ، فيه إجمال لجميع أدوار تاريخ البشرية في شتى صوره ، ففيها تمثيل كامل لعروق الآدميين ، وما عرفوه من معتقدات منذ ظهور الوثنية وحتى اهتداء

---

(١) عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ، ص ٣٠

(٢) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٢٠
عبد الحي الحسني : الهند في العهد الاسلامي ، ص ١٤٠

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٩٠

(٤) أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى ، ص ١٩٠

الناس بالتوحيد (١) .

ولا ينظر إلى الهند كأمة واحدة ، بل هى قارة بأسرها ، وفيها من كثرة السكان واختلاف اللغات ما فى القارة الأوربية ، وتكاد تشبه كذلك هذه القارة فى أجوائها وآدابها وفلسفتها وفنونها . (٢)

وتوجد فى شبه القارة الهندية حوالى ٢٤٠ لغة و ٣٠٠ لهجة ، وهناك أهمية خاصة للغة السنسكريتية بكونها لغة الكتب الهندية القديمة التى يعتبرها الهندوكيون مقدسة ، وقد أتى على هذه اللغة حين من الدهر كانت وقفا على رجال الدين من البراهمة ، ولقد شجع سلاطين المسلمين - وفى مقدمتهم السلطان أكبر - على إحياء آداب الهند القديمة والتى كتبت بتلك اللغة .

وفى أيام السلاطين المسلمين - وخاصة سلاطين المغل - كانت اللغة الفارسية هى لغة الثقافة والبلاط ، والتى ألفت بها الكتب وترجمت إليها معارف الهند القديمة وآدابها ، حتى دخل البريطانيون الهند فعملوا على تشجيع اللغة الأردية ، هادفين بذلك إلى قطع كل صلة بين مسلمى الهند ، وإخوانهم فى البلاد المجاورة . (٣)

والخلاصة أن الهند ضخمة فى كل شئ ، فى مساحتها وعدد

---

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضارتها ص ٧

(٢) ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣ .

(٣) أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضارتها، ص ١٣

سكانها ولغاتها ولهجاتها وعقائدها ، وتبلغ مساحتها بالإضافة إلى جزيرة سيلان ٣،٨ مليون كم٢ . (١)

ومن الناحية الاقتصادية كانت الهند تعتمد على الزراعة والتجارة والثروات الحيوانية والمعدنية،إضافة إلى بعض الصناعات والمهن اليدوية ، ويعتمد نمو الزراعة وزيادة المحاصيل على كثرة الأمطار ، حيث تجعل أسعار الغلال رخيصة وتساعد على العمران ، وهناك توجد المناطق التى كانت تعتمد في زراعتها على مياه الآبار ، ولكن أغلب الاراضى الزراعية تروى بمياه الأمطار.

وأكثر الأراضى تصلح للزراعة ، وكان يزرع ربعها مرتان فى السنة ، وفى بعض المناطق كانت تزرع أكثر من مرتين . (٢)

وتنتج تلك الأراضى أنواعا من الحبوب ، وجميع غلاتها لذيذة ، وتوجد فيها أيضا أنواع من الفواكه الربيعية والخريفية والتى يقتضى إحصاؤها كتابا منفردا ، وكذلك توجد فيه أنواع النباتات والخضروات ، وأنواع الزهور والتى لا توجد فى إيران وتوران وسائر الولايات . (٣)

وهناك موسمان للمحاصيل الزراعية الهندية ؛ الموسم الخريفى ويكون موافقا للسرطان والأسد والسنبلة والميزان ، وتكون ترويتها بمياه الأمطار

---

(١) دولت صادق : جغرافية العالم ،ص ٩٤ .

(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ،ص ١١ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١١- ١٣ .

والموسم الربيعي الذى يوافق العقرب والقوس والجدى والدلو ، ومحاصيل هذا الموسم لا تحتاج لأية مياه من الجداول أو الآبار ، بل تكفيها رطوبة الربيع وبرودته ، وتثمر فى غاية الجودة والتى توجب حيرة الجميع . (١)

ويوجد فى تلك البلاد حيوانات كثيرة مختلفة الأجناس ولا سيما الفيل فهو عندهم كالجمل عند العرب . (٢) وتختلف حيوانات الهند باختلاف نباتاتها وأجوائها . (٣)

وعلى الرغم من أنه توجد فى بعض أقطار هذه الديار خيول أكثر جودة من الخيول العراقية والعربية ، إلا أن الفيل يبقى من عجائب حيواناتها ولا نظير له فى السيرة والصورة ، ويكون شابا بعد ستين سنة من عمره ، ويكون عمره الطبيعى كالإنسان مائة وعشرين سنة ، ويضع الحمل بعد ثمانية عشر شهرا، ويكون التوالد فى الصحراء ، ولا يتم ذلك فى المدينة أصلا ، وحتى لو جىء بالأنثى الحامل إلى المدينة ووضعت فيها حملها ، لا يكون لولدها يمن لصاحبه ، ومن حيواناتها أيضا الكركدن والجاموس الوحشى والجاموس الأهلى وغيره . (٤)

وعلى الرغم من أن معادن الماس والياقوت والذهب والفضة والنحاس والأسرب والحديد والملح وغيره كانت توجد فى هذه البلاد وتستخرج ، إلا أن العائدات كانت تعتمد على الزراعة اعتمادا كبيرا . (٥)

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .
(٢) يوحنا افندى ابكاريوس : قطف الزهور فى تاريخ الدهور ، ص ١٥٨ .
عبد الحى الحسنى : الهند فى الهد الاسلامى ، ص ٥٠ .
(٣) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٨١ .
(٤) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ١٤ ، ١٦ .
عبد الحى الحسنى : الهند فى العهد الاسلامى ، ص ٥٠ .
(٥) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ١١-١٣ .

هذا وكان لجغرافية الهند الطبيعية والبشرية تأثيرها على نظام الدولة المغلية فى الهند ، كما أن للجغرافيا تأثيرها على أى نظام وفى أى بلد وخاصة فى تلك الأزمنـــة .

وإذا نظرنا الى الهند كقارة ، ونظرنا إلى غاباتها وجبالها ، وأنهارهـــا وبعد المسافات بين مدنها وأقاليمها ، ونظرنا أيضا إلى تبا يـــن العـــروق والعقائد واللغات والمذاهب فيها ، نتعرف على مدى الصعوبة التى كان يلقاها النظام فى سبيل بسط نفوذه والحفاظ على سيادته فى أرجائها الفسيحـــة ، وتأمين الأمن والاستقرار فيها ، وخاصة إذا كان النظام مثل دولة السلطـــان أكبر تحاول بسط نفوذها وإخضاع القارة بجميع أقاليمها وسكانها إلى السلطـــة المركزية ، وفى تلك الظروف التى كانت المواصلات تعتمد على المواصـــلات التقليدية ، حيث لم تكن هناك سكك حديدية ولم تكن هناك سفن أو عربـــات بخارية ، إضافة إلى بعد المسافات ووعورة الطرق .

ومن خلال دراستنا لعصر أكـبر سوف نتعرف أكثر على دور الجغرافيا فى تسـيير الحوادث وفى تعيين مصير بعض المعارك وفى إفلات المتمرديـــن من أيدى السلطة ، والصعوبات التى لاقاها النظام فى سـبيل بسط سيادته .

الفصل الأول

الحالة غداة بدء عصر أكبر